لمحة عن حياة الشهيد كاميران

انضم الرفيق الشهيد كاميران إلى المسيرة النضالية في عام 1995 بمدنية حمص السورية. وفي نفس العام التحق بصفوف الكريلا.

كان الشهيد كاميران في صغره طفلا هادئاً، يحب أمه وإخوته وأخواته، ويحب التعلم كثيرا. وإلى جانب هدوئه كان شجاعا، قادرا على الدفاع عن نفسه أينما ذهب وأينما كان.

أمه كانت طوال الوقت مريضة، وكان كاميران الابن الأكبر في المنزل. لذلك كان يساعد أمه المريضة في جميع أعمالها المنزلية، وحتى في تربية الأطفال.

تقول أمه: "ذات مرة قمت بزيارة إلى بيت أبي، وهناك كان يعقد اجتماع لـ(المناضلين), فأخذه خاله إلى الاجتماع، وقد كان عمره آنذاك ثلاثة أشهر. كان هناك الشيخ مصطفى (وهو شخصية معروفة من قبل أهالي كوباني), وكان حاضراً في الاجتماع آنذاك. حينها قال الشيخ: "يجب أن يحلق شعر هذا الطفل ويوضع في الميزان بقدره ذهباً وجواهر ويوزع على الناس لما فيه من سمات وصفات الرجولة والشجاعة!".

في كل عطلة صيفية حين كانت المدارس تغلق أبوابها، كان كاميران وأخوه الأصغر منه يتوجهان إلى شيخ الكتاب. وفي إحدى المرات قطع عليهما الطريق ستة أخوة مع أمهم، فتعاركوا جمعياً. ورغم تعرض كاميران للضرب, إلا أنه بقي يقاتلهم حتى جاءت أربع بنات يكبرنه سناً، وكنَّ أخوات هؤلاء الأطفال الستة. ولكن كاميران بقي يقاتلهم. وعندها أخذت هذه المرأة أولادها، وأبعدتهم عن طريقه, وأرسلت جواباً لأم كاميران تقول فيه بأن هذا الولد يجب أن يكون من أبطال الجبال (شيريه سريه جيان).

كان كاميران ولداً نشيطا، حيث كان يعمل منذ صغره في الأرض، ويساعد جده، ويقود الجرار وهو صغير، ويحرث، ويفلح. وكان يحب الدراسة أيضاً.

عندما حصل على الشهادة الابتدائية لم يرسله أبوه إلى المدرسة ليكمل تعليمه، وذلك من أجل مساعدته في العمل. وفي نفس العام استشهد ابن خاله الشهيد عبد الله حسين (عبدو).

حينها وقف كاميران في بيت خاله، وقال لأمه أنه سيحمل بندقية ابن خاله الشهيد عبدو، وسيلتحق مثله بصفوف الكريلا, ولكن أمه من خوفها عليه صرخت في وجه كاميران وقالت: "لا أريد أن اسمع منك هذا الكلام ثانية".

منذ ذلك الوقت بدأت أفكار السلاح تنمو في عقل الشهيد البطل كاميران، ولم تفارقه هذه الأفكار أينما ذهب. كان يحب القائد أوجلان كثيراً. وكان يقول علناً بأنه يوماً ما سيلتحق بصفوف الكريلا.

كانت أمه (وحيدة) تعرف أفكاره جيداً. سمعت أمه ذات مرة أنه كان يحضر اجتماعات سرية وهو صغير في السن، فأخبرت والده بذلك، وأخذوا كاميران إلى حمص ليعمل مع أبيه وعمه في حفر الآبار.

وعندما أصبح عمره ستة عشر عاماً حضر حفلة لجيرانهم بمناسبة زواج أحد أولادهم. وعندما اعتقد جده بأنه ذهب أيضاً بعد ذلك ليحضر اجتماعاً للمناضلين, أرسلوه ثانية إلى حمص، وبقي فيها ثلاثة أشهر.

وفي عيد الفطر عاد إلى المنزل، وتحدث مع إخوته وأمه، وكانت عيونه مليئة بالحب والدموع لأنه كان قد خطط لحمل السلاح والالتحاق بالكريلا.

كان كاميران قد أخبر جده بأنه لو أراد الالتحاق فإنه سيفعل أينما ذهب، ولن يقف ذهابُه إلى حمص في طريق أفكاره الثورية. حينها أدرك جده يقيناً أنه سيذهب للجبال، فقطع الأمل باستمراره في البقاء فيما بينهم, وكان دائماً ينظر إليه وكأنه مفقود منذ تلك اللحظة.

جلس كاميران ذات مرة إلى أمه، فحدثته أمه عن ظروفهم السيئة وضرورة بقائه من أجل مساعدتهم. ولكن كاميران رفض هذا الكلام. وإرضاء لأمه عاد إلى حمص مرة أخرى ليعمل. وبعد مضي وقت قصير أرسله أبوه إلى المنزل ليساعد جده في ري الأرض. عاد كاميران إلى المنزل، وبعد عدة أيام اختفى كاميران من كوباني. وبعد (13) يوماً جاء خبر من الرفاق بأن كاميران الآن في صفوف الكريلا.

انقطعت أخبار الولد العنيد عبد الله، الذي لقب بـ"كاميران" من حينها عن العائلة. وكانت أمه تحاول دائماً السؤال عنه، ولكن لا أحد يعلم أين هو، وفي أية منطقة من كردستان يكون.

لم يعتد كاميران على إرسال الرسائل والصور ليطمئن أهله عنه. إلا أنه جاءت مرة واحدة فقط صورة للرفيق كاميران وهو بلباس الكريلا، حاملاً البندقية بيده، والجبال تتبدى من خلفه، والمياه تسير من جانبه.

بكت أمه كثيراً على الصورة, وكبَّرت الصورة، وعلقتها في صدر المنزل.

تقول أمه: "منذ عدة سنوات لم نسمع شيئاً عن كاميران. مضت عشر سنوات على ذهابه، ولم نسمع خبراً عنه".

لم يهدأ بال أخته (روهلات) أيضا بعد التحاق أخيها بصفوف الكريلا, ولم تقر عينها إلا بعد أن ذهبت هي أيضاً إلى الجبال. وقد أقنعت أمها بأنها ستعود قريباً، وستسأل عن كاميران. هذا ما كانت تكتبه روهلات في رسائلها لتطمئن قلب أمها المحترق على ابنها وابنتها.

تتابع الأم: "ومنذ مدة سمعنا أخبارا جيدة عن روهلات، وأخباراً متقلبة عن كاميران. فقد حان الوقت ليعلنوا أسماء الأبطال وأصحاب الدماء الطاهرة. وأنا سأكون فخورة بابني كاميران في حال سماعي نبأ استشهاده. فقد تغيرت قناعاتي كلها بعد ذهابه إلى الوطن، وأصبحت سنداً له ولأفكاره التي ضحى بحياته الهنيئة في سبيلها، وذلك كي يؤمّن لنا ولأولادنا حياة حرة مشرفة".

وجاء الخبر السار، وزفت البشرى باستشهاد الرفيق الشجاع كاميران منذ ثماني سنوات في أحد جبال كردستان، جبال العز والإباء المروية بدماء الشهداء البررة.

حينما سمعت الأم نبأ استشهاد ولدها كاميران، زغردت من صميم قلبها المحترق، وعيونها مليئة بالدموع, دموع حسرة أم على فراق ابنها، ودموع فرحة أم بمرتبة ابنها الشهيد المقدسة. وقمنا نحن أهالي كوباني بالاحتفال من أجل إعلان شهداء الحركة التحررية الكردستانية في كوباني، والذين بلغ عددهم (27) في مراسيم إعلان الشهداء الخالدين.

تقول أمه: "ليتني لم أسمع الخبر، وليتني بقيت على حلمي وأملي بلقاء ابني الأكبر. ولكن شاءت الأقدار أن تراق دماؤه الطاهرة وتسقي جبال كردستان، وأنا فخورة بذلك كل الفخر".

ملف الشهداء " شيلان" العدد الثاني 2006